السيدة العذراء لوزى

The Holy Virgin
ST. Mary

الطبعة الثامنة عشر
يونيو ٢٠١٤
القاهره

18th Print
June 2014
Cairo

الكتاب : السيدة العذراء .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – العباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٦/٩١٧٣

صورة طقسية للعذراء ، عن يمين المسيح، ومتوجة كملكة ، عملاً بقول المزمور: "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك" .

وكذلك تحيط بها الملائكة باعتبارها "السماء الثانية"

أمنا القديسَة العذراء

لا توجد إمرأة تنبأ عنها الأنبياء واهتم بها الكتاب، مثل مريم العذراء .. رموز عديدة عنها فى العهد القديم. وكذلك سيرتها وتسبحتها والمعجزات : فى العهد الجديد .

وما أكثر التمجيدات والتأملات ، التى وردت عن العذراء فى كتب الآباء ... وما أمجد الألقاب ، التى تلقبها بها الكنيسة ، مستوحاة من روح الكتاب ...

إنها أمنا كلنا، وسيدتنا كلنا، وفخر جنسنا، الملكة القائمة عن يمين الملك، العذراء الدائمة البتولية، الطاهرة، المملوءة نعمة، القديسة مريم، الأم القادرة المعينة الرحيمة، أم النور، أم الرحمة والخلاص، الكرمة الحقانية .

هذه التى ترفعها الكنيسة فوق مرتبة رؤساء الملائكة فنقول عنها فى تسابيحها وألحانها :

علوت يا مريم فوق الشاروبيم، وسموت يا مريم فوق السارافيم .

مريم التى تربت فى الهيكل، وعاشت حياة الصلاة والتامل منذ طفولتها، وكانت الإناء المقدس الذى اختاره الرب للحلول فيه .

أجيال طويلة أنتظرت ميلاد هذه العذراء، لكى يتم بها ملء الزمان (غل٤: ٤) ...

هذه التى أزالت عار حواء، وأنقذت سمعة المرأة بعد الخطية .

إنها والدة الإله ، دائمة البتولية .

إنها العذراء التى أتت إلى بلادنا اثناء طفولة المسيح، وأقامت فى أرضنا سنوات، قدستها خلالها ، وباركتها ...

وهى العذراء التى ظهرت فى الزيتون منذ ٢٨ عاماً، وجذبت إليها مشاعر الجماهير، بنورها، وظهورها، وافتقادها لنا ...

وهى العذراء التى تجرى معجزات فى أماكن عديدة ، نعيد لها فيها، وقصص معجزاتها هذه لا تدخل تحت حصر ...

إن العذراء ليست غريبة علينا، فقد اختلطت بمشاعر الأقباط فى عمق ، خرج من العقيدة إلى الخبرة الخاصة والعاطفة . ما أعظمه شرفاً لبلادنا وكنيستنا أن تزورها السيدة العذراء فى الماضى، وأن تتراءى على قبابها منذ سنين طويلة .

لم توجد إنسانة أحبها الناس فى المسيحية مثل السيدة العذراء مريم .

فى مصر ، غالبية الكنائس تحتفل بعيدها .

وفى الطقوس، ما أكثر المدائح والتراتيل، والتماجيد والأبصاليات والذكصولوجيات الخاصة بها، وبخاصة فى شهر كيهك. ولها عند أخوتنا الكاثوليك شهر يسمى الشهر المريمى ...

وفى أديرة الرهبان فى مصر يوجد على إسمها :دير البراموس، ودير السريان، ودير المحرق، أى ربع الأديرة الحالية .

ويوجد دير للراهبات على إسمها فى حارة زويلة بالقاهرة. وما أكثر الأديرة والمدارس التى على إسمها فى كنائس الغرب .

أقدم كنائس بإسمها

أقدم كنيسة بنيت على إسم العذراء فى العصر الرسولى هى كنيسة فيلبى . وأقدم كنيسة بنيت باسمها فى مصر ، كانت فى عهد البابا ثاؤنا، البطريرك ١٦ (سنة٢٧٤م) .

ومن أشهر كنائسها، كنسية الدير المحرق التى دشنت فى عهد البابا ثاؤفيلس (٢٣) فى بداية القرن الخامس (٦ هاتور) .

وكذلك الكنائس التى بنيت فى الأماكن التى زارتها فى مصر .

وبهذه المناسبة توجد لنا كنيستان فى أوروبا باسم "عذراء الزيتون" . إحداهما فى فرنسا والثانية فى فينا .

عظمة العذراء

عظمة العذراء قررها مجمع أفسس المسكونى المقدس ، الذى انعقد سنة ٤٣١م بحضور مائتين من أساقفة العالم، ووضع مقدمة قانون الإيمان التى ورد فيها : "نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا" : فعلى اية الأسس وضع المجمع المسكونى هذه المقدمة ؟ هذا ما سنشرحه الآن :

العذراء : هى القديسة المطوبة ،التى يستمر تطويبها مدى الأجيال، كما ورد فى تسبحتها ...

"**هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى**" (لو١: ٤٦) .

والعذراء تلقبها الكنيسة بالملكة وفى ذلك أشار عنها المزمور (٤٥: ٩) . "**قامت الملكة عن يمين الملك**" ...

ولذلك فإن كثيراً من الفنانين ، حينما يرسمون صورة العذراء يضعون تاجاً على رأسها، وتبدو فى الصورة عن يمين السيد المسيح .

ويبدو تبجيل العذراء فى تحية الملاك جبرائيل لها "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنت فى النساء" (لو١: ٢٨)

أى ببركة خاصة ، شهدت بها أيضاً القديسة أليصابات، التى صرخت بصوت عظيم وقالت لها. مباركة أنت فى النساء، ومباركة هى ثمرة بطنك" (لو١: ٤٢) .

وأمام عظمة العذراء تصاغرت القديسة أليصابات فى عينى نفسها، وقالت فى شعور بعدم الاستحقاق. مع أن أليصابات كانت تعرف أن ابنها سيكون عظيماً أمام الرب، وأنه يأتى بروح إيليا وقوته (لو١: ١٥، ١٧) .

"من أين لى هذا، أن تأتى أم ربى إلىّ" (لو١: ٤٣) .

ولعل من أوضح الأدلة على عظمة العذراء، ومكانتها لدى الرب، أنه بمجرد وصول سلامها إلى أليصابات، امتلأت أليصابات من الروح القدس، وأحس جنينها فارتكض بابتهاج فى بطنها. وفى ذلك يقول الوحى الإلهى :

فلما سمعت أليصابات سلام مريم، ارتكض الجنين فى بطنها، وامتلأت أليصابات من الروح القدس" (لو١: ٤١) .

إنها حقاً عظمة مذهلة، أن مجرد سلامها يجعل أليصابات تمتلئ من الروح القدس! مَنْ من القديسين ، تسبب سلامه فى أن يمتلئ غيره من الروح القدس؟! ولكن هوذا أليصابات تشهد وتقول "هوذا حين صار سلامك فى أذنى، ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى" .

امتلأت أليصابات من الروح القدس بسلام مريـم، وأيضـاً نـالت موهبة النبوة والكشف :

فعرفت أن هذه هى أم ربها، وأنها "آمنت بما قيل لها من قبل الرب" كما عرفت أن ارتكاض الجنين، كان عن "ابتهاج" . وهذا الابتهاج طبعاً بسبب المبارك الذى فى بطن العذراء "مباركة هى ثمرة بطنك" (لو١: ٤١- ٤٥) .

عظمة العذراء تتجلى فى اختيار الرب لها، من بين كل نساء العالم ...

الإنسانة الوحيدة التى انتظر التدبير الإلهى آلاف السنين، حتى وجدها، ورآها مستحقة لهذا الشرف العظيم الذى شرحه الملاك جبرائيل بقوله "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥) .

العذراء فى عظمتها ، تفوق جميع النساء :

لهذا قال عنها الوحى الإلهى "بنات كثيرات عملن فضلاً. أما أنت ففقت عليهن جميعاً" (أم٣١: ٣٩) . ولعله من هذا النص الإلهى، أخذت مديحة الكنيسة "نساء كثيرات نلن كرامات . ولم تنل مثلك واحدة منهن " ....

هذه العذراء القديسة، كانت فى فكر الله وفى تدبيره، منذ البدء.

ففى الخلاص الذى وعد به أبوينا الأولين، قال لهما إن "نسل المرأة يسحق رأس الحية" (تك٣: ١٥) . هذه المرأة هى العذراء، ونسلها هو المسيح، الذى سحق رأس الحية، على الصليب ...

حَياة أحاطت بها المعجزات

تبدأ المعجزات فى حياة العذراء قبل ولادتها، وتستمر بعد وفاتها، ومنها :

١ - حبل بها بمعجزة، من والدين عاقرين، ببشرى من الملاك.

٢- معجزة خطوبتها، بطريقة إلهية حددت الذى يأخذها ويرعاها

٣ - معجزة فى حبلها بالمسيح وهى عذراء مع استمرار بتوليتها بعد الولادة .

٤ - معجزة فى زيارتها للأيصابات، التى لما سمعت صوت سلامها، ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنها وامتلأت بالروح القدس.

٥ - معجزات لا تدخل تحت حصر أثناء زيارتها لأرض مصر، منها سقوط الأصنام (أش ١٩: ١).

٦ - أول معجزة أجراها الرب فى قانا الجليل كانت بطلبها .

٧ - معجزة حل الحديد وانقاذ متياس الرسول، كانت بواسطتها.

٨ - معجزة استلام المسيح لروحها، ساعة وفاتها .

٩ – معجزة ضرب الرب لليهود لما ارادوا الأعتداء على جثمانها بعد وفاتها .

١٠ – معجزة صعود جسدها إلى السماء .

١١ – المعجزات التى تمت على يديها فى كل مكان، وضعت فيها كتب .

١٢ – ظهورها فى أماكن متعددة وبخاصة ظهورها العجيب فى كنيستنا بالزيتون ، وفى بابادبلو .

ومازالت المعجزات مستمرة فى كل مكان، وستستمر شهادة لكرامة هذه القديسة .

صوم العذراء

تحتفل الكنيسة من أول مسرى (٧ أغسطس) بصوم السيدة العذراء، وهو صوم يهتم به الشعب اهتماماً كبيراً، ويمارسه بنسك شديد. والبعض يزيد عليه أياماً. وذلك لمحبة الناس الكبرى للعذراء

وصوم العذراء مجال للنهضات الروحية فى غالبية الكنائس .

يعد له برنامج روحى، لعظات كل يوم، وقداسات يومية أيضاً فى بعض الكنائس، حتى الكنائس التى لا تحمل إسم العذراء .

ويقام عيد كبير للسيدة العذراء فى كنيستها الأثرية بمسطرد.

بل تقام أعياد لقديسين آخرين فى هذه الأيام أيضا :

فعيد القديس مارجرجس فى دير ميت دمسيس يكون فى النصف الثانى من أغسطس، وكذلك عيد القديس أبا مقار الكبير . وعيد القديس مارجرجس فى ديره بالرزيقات.

وفى نفس صوم العذراء نحتفل بأعياد قديسات مشهورات :

مثل القديسة بائيسة (٢مسرى : ٨ أغسطس) ، والقديسة يوليطة (٦ مسرى: ١٢ أغسطس) والقديسة مارينا (١٥مسرى: ٢١ أغسطس)

بل أثناء صوم العذراء ايضاً نحتفل بعيد التجلى المجيد يوم ١٣ مسرى (١٩ أغسطس) .

وفى نفس الشهر (٧ مسرى: ١٣ أغسطس) تذكار بشارة الملاك جبرائيل للقديس يواقيم بميلاد مريم البتول .

إن صوم العذراء ليس هو المناسبة الوحيدة التى تحتفل فيها الكنيسة بأعياد العذراء ، إنما يوجد بالأكثر شهر كيهك الذى يحفل بمدائح وتماجيد وابصاليات للعذراء مريم القديسة .

وصوم العذراء يهتم به الأقباط فى مصر، وبخاصة السيدات، أهتماماً يفوق الوصف .

كثيرون يصومونه (بالماء والملح) أى بدون زيت... وكثيرون يضيفون عليه أسبوعاً ثالثاً كنوع من النذر . ويوجد ايضاً من ينذر

أن يصوم هذا الصوم انقطاعاً حتى ظهور النجوم فى السماء ...

فما السر وراء هذا الإهتمام ؟

أولاً : محبة الأقباط للعذراء التى زارت بلادهم وباركتها ، وتركت آثاراً لها فى مواضع متعددة بنيت فيها كنائس .

ثانياً : كثرة المعجزات التى حدثت فى مصر بشفاعة السيدة العذراء، مما جعل الكثيرين يستبشرون ببناء كنيسة على إسمها .

ولعل ظهور العذراء فى كنيستها بالزيتون وما صحب هذا الظهور من معجزات ، قد أزاد تعلق الأقباط بالعذراء، وبالصوم الذى يحمل إسمها .

أعيادها

كل قديس له فى الكنيسة عيد واحد، هو يوم نياحته أو استشهاده، وربما عيد آخر، هو العثور على رفاته، أو معجزة حدثت باسمه، أو بناء كنيسة له .

لكن القديسة العذراء لها أعياد كثيرة جداً، منها :

١ - عيد البشارة بميلادها :

وهو يوم ٧ مسرى ، حيث بشر ملاك الرب أباها يواقيم بميلادها، ففرح بذلك هو وأمها حنة، ونذراها للرب .

٢ - عيد ميلاد العذراء :

وتعيد له الكنيسة فى أول بشنس .

٣ - عيد دخولها الهيكل :

وتعيد له الكنيسة يوم ٣ كيهك . وهو اليوم الذى دخلت فيه لتتعبد فى الهيكل فى الدار المخصصة للعذارى.

٤ - عيد مجيئها إلى مصر:

ومعها السيد المسيح ويوسف النجار. وتعيد له الكنيسة يوم ٢٤ بشنس

٥ - عيد نياحة العذراء :

وهو يوم ٢١ طوبة ، وتذكر فيه الكنيسة أيضاً المعجزات التى تمت فى ذلك اليوم. وكان حولها الآباء الرسل ما عدا القديس توما الذى كان وقتذاك يبشر فى الهند .

٦ - العيد الشهرى للعذراء :

وهو يوم ٢١ من كل شهر قبطى، تذكاراً لنياحتها فى ٢١ طوبة

٧ - عيد صعود جسدها إلى السماء :

وتعيد له الكنيسة فى يوم ١٦ مسرى، الذى يوافق ٢٢ من أغسطس، ويسبقه صوم العذراء (١٥ يوماً) .

٨ - عيد معجزتها (حالة الحديد) :

وهو يوم ٢١ بؤونة . ونذكر فيه معجزتها فى حلّ أسر القديس

متياس الرسول ومن معه بحلّ الحديد الذى قيدوا به .

ونعيد أيضاً لبناء أول كنيسة على إسمها فى فيلبى .

وكل هذه الأعياد لها فى طقس الكنيسة ألحان خاصة وذكصولوجيات، تشمل فى طياتها الكثير من النبوءات والرموز الخاصة بها فى العهد القديم .

٩ - عيد ظهورها فى الزيتون .

على قباب كنيسة العذراء . وكان ذلك يوم ٢ ابريل سنة ١٩٦٨ واستمر مدى سنوات. ويوافق ٢٤ برمهات تقريباً .

وبالإضافة إلى كل هذا، نحتفل طول شهر كيهك (من ثلث شهر ديسمبر إلى ٧ يناير) بتسابيح كلها عن كرامة السيدة العذراء .

العذراء مريم فى عقيدة الكنيسة

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تكرم السيدة العذراء الإكرام اللائق بها، دون مبالغة، ودون إقلال من شأنها .

١- فهى فى اعتقاد الكنيسة "والدة الإله" Θεοτοκος (ثيئوطوكوس). وليست والدة (يسوع) كما ادعى النساطرة، الذين حاربهم القديس كيرلس الأسكندرى، وحرمهم مجمع أفسس المسكونى المقدس.

٢ - والكنيسة تؤمن أن الروح القدس قد قدس مستودع

العذراء أثناء الحبل بالمسيح .

وذلك كما قال لها الملاك "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك. لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" .

وتقديس الروح القدس لمستودعها، يجعل المولود منها يحبل به بلا دنس الخطية الأصلية. أما العذراء نفسها، فقد حبلت بها أمها كسائر الناس، وهكذا قالت العذراء فى تسبحتها "وتبتهج روحى بالله مخلصى" (لو ١: ٤٧) .

لذلك لا توافق الكنيسة على أن العذراء حبل بها بلا دنس الخطية الأصلية كما يؤمن أخوتنا الكاثوليك .

٣ - وتؤمن الكنيسة بشفاعة السيدة العذراء .

وتضع شفاعتها قبل الملائكة ورؤساء الملائكة، فهى والدة الإله، وهى الملكة القائمة عن يمين الملك.

٤ - والكتاب يلقب العذراء بأنها "الممتلئة نعمة"

وللأسف فإن الترجمة البيروتية - إقلالاً من شأن العذراء- تترجم هذا اللقب بعبارة "المنعم عليها" .. وكل البشر منعم عليهم، أما العذراء فهى الممتلئة نعمة.. على أن النعمة لا تعنى العصمة.

٥ - والكنيسة تؤمن بدوام بتولية العذراء .

ولا يشذ عن هذه القاعدة سوى أخوتنا البروتستانت . الذين ينادون بأن العذراء أنجبت بنين بعد المسيح .

٦ - وتؤمن الكنيسة بصعود جسد العذراء إلى السماء، وتعيد له فى ١٦ مسرى .

ألقابها ورموزها

أ - ألقاب من حيث عظمتها وصلتها بالله :

١ - نلقبها بالملكة : القائمة عن يمين الملك .

ونذكر فى ذلك قول المزمور "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك" (مز٤٥: ٩) . ولذلك دائماً ترسم فى أيقونتها على يمين السيد المسيح. ونقول عنها فى القداس الإلهى "سيدتنا وملكتنا كلنا..".

٢ - نقول عنها أيضاً "أمنا القديسة العذراء" .

وفى ذلك قول السيد المسيح وهو على الصليب لتلميذه القديس يوحنا الحبيب "هذه أمك" (يو١٩: ٢٧) .

٣ - وتشبه العذراء أيضاً بسلم يعقوب :

تلك السلم التى كانت واصلة بين الأرض والسماء (تك٢٨: ١٢). وهذا رمز للعذراء التى بولادتها للمسيح، أوصلت سكان الأرض إلى السماء .

٤ - وقد لقبت العذراء أيضاً بالعروس :

لأنها العروس الحقيقية لرب المجد . وتحقق فيها قول الرب لها

فى المزمور "..اسمعى يا ابنتى وانظرى، وأميلى أذنك، وانسى شعبك وبيت أبيك. فإن الملك قد اشتهى حسنك، لأنه هو ربك وله تسجدين" (مز٤٥) . ولذلك لقبت بصديقة سليمان، أى عذراء النشيد.

وقيل عنها فى نفس هذا المزمور "كل مجد ابنة الملك من داخل، مشتملة بأطراف موشاة بالذهب مزينة بأنواع كثيرة" .

٥ - ونلقبها أيضاً بلقب الحمامة الحسنة :

متذكرين الحمامة الحسنة التى حملت لأبينا نوح غصناً من الزيتون، رمزاً للسلام، تحمل إليه بشرى الخلاص من مياه الطوفان.. (تك٨: ١١) . وبهذا اللقب يبخر الكاهن لأيقونتها وهو خارج من الهيكل. وهو يقول "السلام لك أيتها العذراء مريم الحمامة الحسنة". والعذراء تشبه بالحمامة فى بساطتها وطهرها وعمل الروح القدس فيها، وتشبه الحمامة التى حملت بشرى الخلاص بعد الطوفان ، لأنها حملت بشرى الخلاص بالمسيح .

٦ - وتشبه العذراء أيضاً بالسحابة .

لإرتفاعها من جهة، ولأنه هكذا شبهتها النبوة فى مجيئها إلى مصر. نورد عن ذلك فى سفر إشعياء النبى :

"وحى من جهة مصر: هوذا الرب راكب على سحابة سريعة

وقادم إلى مصر. فترتجف أوثان مصر. ويذوب قلب مصر داخلها" (أش١٩: ١) . وعبارة سحابة ترمز إلى ارتفاعها . وترمز إلى الرب الذى يجئ على السحاب (مت١٦: ٢٧) .

✠ ✠ ✠

ب - ألقابها ورموزها من حيث أمومتها للسيد المسيح :

٧ - ومن الألقاب التى وصفت بها العذراء (ثيئوطوكوس).

أى "والدة الله". وهذا اللقب الذى أطلقه عليها المجمع المسكونى المقدس المنعقد فى أفسس سنة ٤٣١م. وهو اللقب الذى تمسك به القديس كيرلس الكبير رداً على نسطور ...

وبهذا اللقب "أم ربى" خاطبتها القديسة أليصابات (لو١: ٤٣) .

٨ - ومن ألقابها أيضاً المجمرة الذهب .

ونسميها (تى شورى) أى المجمرة بالقبطية. وأحياناً شورية هرون ... أما الجمر الذى فى داخلها، ففيه الفحم يرمز إلى ناسوت المسيح، والنار ترمز إلى لاهوته، كما قيل فى الكتاب "إلهنا نار آكلة" (عب١٢: ٢٩) .

فالمجمرة ترمز إلى بطن العذراء الذى فيه كان اللاهوت متحداً بالناسوت. وكون المجمرة من ذهب، فهذا يدل على عظمة العذراء ونقاوتها . ونظراً لطهارة العذراء وقدسيتها، فإن العذراء نسميها فى ألحانها المجمرة الذهب ⲧϣⲟⲧⲣⲉ ⲛⲛⲟⲩⲃ .

٩ – وتلقب العذراء أيضاً بالسماء الثانية :

لأنه كما أن السماء هى مسكن الله، هكذا كانت العذراء مريم اثناء الحمل المقدس مسكناً لله.

١٠ – وتلقب العذراء كذلك بمدينة الله :

وتتحقق فيها االنبوءة التى فى المزمور "أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله" (مز٨٦)، أو يُقال عنها "مدينة الملك العظيم" أو تتحقق فيها نبوءات معينة قد قيلت عن أورشليم .. أو صهيون كما قيل أيضاً فى المزمور "صهيون الأم تقول إن إنساناً وإنساناً صار فيها، وهو العلى الذى أسسها.." (مز٨٧) .

١١ – وبهذه الصفة لقبت بالكرمة التى وجد فيها عنقود الحياة .

أى السيد المسيح . وبهذا اللقب تتشفع بها الكنيسة فى صلاة الساعة الثالثة، وتقول لها "يا والدة الإله ، أنت هى الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة" ...

١٢ – وبصفة هذه الأمومة لها ألقاب أخرى منها :

★أم النور الحقيقى ، على اعتبار أن السيد المسيح قيل عنه إنه "النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان" (يو١: ٩).

وبنفس الوضع لقبت **بالمنارة الذهبية** لأنها تحمل النور. وأيضاً:

★أم القدوس. على اعتبار أن الملاك حينما بشرها بميلاد المسيح

قال لها".. لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥).

★أم المخلص، لأن السيد المسيح هو مخلص العالم. وقد دعى إسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت١: ٢١) .

١٣ - ومن رموزها أيضاً العليقة التى رآها موسى النبى :

(خر٣: ٢) . ونقول فى المديحة "العليقة التى رآها موسى النبى فى البرية، مثال أم النور طوباها حملت جمر اللاهوتية، تسعة أشهر فى أحشاها ولم تمسسها بأذية" . فالسيد الرب قيل عنه إنه "نار آكلة" (عب١٢: ٢٩) ترمز إليه النار التى تشتعل داخل العليقة. والعليقة ترمز للقديسة العذراء .

١٤ - ومن رموزها أيضاً تابوت العهد .

وكان هذا التابوت من خشب السنط الذى لا يسوس . مغشى بالذهب من الداخل والخارج (خر٢٥: ١٠، ٢٢)، رمزاً لنقاوة العذراء وعظمتها. وكانت رمزاً أيضاً لما يحمله التابوت فى داخله من أشياء ترمز إلى السيد المسيح .

فقد كان يحفظ فيه "قسط من ذهب فيه المن، وعصا هرون التى افرخت" (عب٩: ٤) . ولوحا الشريعة (رمزاً لكلمة الله المتجسد) .

١٥ - وهكذا تشبه العذراء أيضاً بقسط المن .

لأن المن كان رمزاً للسيد المسيح، باعتباره الخبز الحى الذى

نزل من السماء، كل من يأكله يحيا به، أو هو أيضاً خبز الحياة (يو٦: ٣٢، ٤٨، ٤٩). ومادام السيد المسيح يشبه بالمن، فيمكن إذن تشبيه العذراء بقسط المن، الذى حمل هذا الخبز السماوى داخله.

١٦ - وتشبه العذراء أيضاً بعصا هرون التى أفرخت .

أى ازهرت وحملت براعم الحياة بمعجزة (عد١٧: ٦- ٨) . مع أن العصا أصلاً لا حياة فيها يمكن أن تفرخ زهراً وثمراً. وذلك يرمز لبتولية العذراء التى ما كان ممكناً أن تفرخ أى تنتج نسلاً . إنما ولدت بمعجزة . ورد هذا الوصف فى ابصالية الأحد .

١٧ - خيمة الإجتماع (قبة موسى) .

خيمة الإجتماع ، كان يحل فيها الرب، والعذراء حل فيها الرب. وفى الأمرين أظهر الله محبته لشعبه. وهكذا نقول فى الأبصلمودية "القبة التى صنعها موسى على جبل سيناء، شبهوك بها يا مريم العذراء .. التى الله داخلها" .

١٨ - وتشبه العذراء بالباب الذى فى المشرق .

ذلك الذى رآه حزقيال النبى وقال عنه الرب "هذا الباب يكون مغلقاً، لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان. لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً " (حز٤٤: ١، ٢) . وهذا الباب الذى فىالشرق ، رأى عنده النبى مجد الرب، وقد ملأ البيت (حز٤٣: ٢، ٤، ٥) .

وهذا يرمز إلى بتولية العذراء، التى كانت من بلاد المشرق. وكيف أن هذه البتولية ظلت مختومة .

١٩ – ولأنها هذا الباب الذى فى المشرق، وصفت بأنها :

باب الحياة – باب الخلاص :

السيدة العذراء قيل عنها فى سفر حزقيال إنها الباب الذى دخل منه رب المجد وخرج (حز٤٤: ٢) .

فإذا كان الرب هو الحياة، تكون هى باب الحياة. وقد قال الرب أنا هو القيامة والحياة" (يو١١: ٢٥) . لذلك تكون العذراء هى باب الحياة. الباب الذى خرج منه الرب مانحاً حياة لكل المؤمنين به ...

وإذا كان الرب هو الخلاص ، إذ جاء خلاصاً للعالم، يخلص ما قد هلك (لو١٩: ١٠) ، حينئذ تكون العذراء هى باب الخلاص .

وليس غريباً أن تلقب العذراء بالباب ، فالكنيسة أيضاً لقبت بالباب. وقال أبونا يعقوب عن بيت إيل "ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء" (تك٢٨: ١٧) .

٢٠ – شبهت أيضاً بقدس الأقداس .

هذا الذى كان يدخله رئيس الكهنة مرة واحدة كل سنة، ليصنع تكفيراً عن الشعب كله. ومريم العذراء حل فى داخلها رب المجد مرة واحدة لأجل فداء العالم كله .

فضائل العذراء

حياة الاتضاع

كان الإتضاع شرطا اساسيا لمن يولد منها رب المجد .

كان لابد أن يولد من إنسانة متضعة، تستطيع أن تحتمل مجد التجسد الإلهى منها ... مجد حلول الروح القدس فيها.. ومجد ميلاد الرب منها، ومجد جميع الأجيال التى تطوبها وإتضاع أليصابات أمامها قائلة لها "من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ.." (لو١: ٤٨، ٤٣). كما تحتمل كل ظهورات الملائكة ، وسجود المجوس أمام إبنها. والمعجزات الكثيرة التى حدثت من ابنها فى أرض مصر، بل نور هذا الابن فى حضنها .

لذلك كان "ملء الزمان" (غل٤: ٤) ينتظر هذه الإنسانة التى يولد ابن الله منها .

وقد ظهر الاتضاع فى حياتها كما سنرى :

★بشرها الملاك بأنها ستصير أماً للرب، ولكنها قالت "هوذا أنا أمة الرب" (لو١: ٣٨) أى عبدته وجاريته. والمجد العظيم الذى أعطى لها لم ينقص إطلاقاً من تواضعها .

بل أنه من أجل هذا التواضع، منحها الله هذا المجد، إذ "نظر

إلى إتضاع أمته" فصنع بها عجائب (لو١: ٤٨، ٤٩) .

★وظهر إتضاع العذراء أيضاً فى ذهابها إلى إليصابات لكيما تخدمها فى فترة حبلها. فما أن سمعت أنها حُبلى - وهى فى الشهر السادس - حتى سافرت إليها فى رحلة شاقة عبر الجبال. وبقيت عندها ثلاثة اشهر، حتى تمت أيامها لتلد (لو١:٣٩- ٥٦). فعلت ذلك وهى حبلى برب المجد .

★ومن اتضاعها عدم حديثها عن أمجاد التجسد الإلهى .

حَيَاة التسليم

★عاشت قديسة طاهرة فى الهيكل.. ثم جاء وقت قيل لها فيه أن تخرج من الهيكل. فلم تحتج ولم تعترض، مثلما تفعل كثير من النساء اللائى يمنعهن القانون الكنسى من دخول الكنيسة فى أوقات معينة. فيتذمرن ، ويجادلن كثيراً فى احتجاج..!

★وكانت تريد أن تعيش بلا زواج فأمروها أن تعيش فى كنف رجل حسبما تقتضى التقاليد فى أيامها ..

★فلم تحتج وقبلت المعيشة فىكنف رجل، مثلما قبلت الخروج من الهيكل ...

★كانت تحيا حياة التسليم، لا تعترض : ولا تقاوم، ولا تحتج .

بل تسلم لمشيئة الله فى هدوء، بدون جدال .

★كانت قد صممت على حياة البتولية، ولم تفكر إطلاقاً فى يوم من الأيام أن تصير أماً. ولما أراد الله أن تكون أماً، بحلول الروح القدس عليها (لو١: ٣٥) لم تجادل، بل أجابت بعبارتها الخالدة "هوذا أنا أمة الرب. ليكن لى كقولك".. لذلك وهبها الله الأمومة ، واستبقى لها البتولية أيضاً، وصارت أماً ، الأمر الذى لم تفكر فيه إطلاقاً.. بالتسليم، صارت أماً للرب.. بل أعظم الأمهات قدراً .

★وأمرت أن تهرب إلى مصر ، فهربت .

وأمرت أن ترجع من مصر ، فرجعت. وأمرت أن تنقل موطنها من بيت لحم وتسكن الناصرة، فانتقلت وسكنت .

كانت إنسانة هادئة، تحيا حياة التسليم، بلا جدال. لذلك فإن القدير صنع بها عجائب ... إذ نظر إلى إتضاع أمته .

حَيَاة الاحتمَال

تيتمت من والديها الإثنين، وهى فى الثامنة من عمرها، وتحملت حياة اليتم. وعاشت فى الهيكل وهى طفلة، واحتملت حياة الوحدة فيها. وخرجت من الهيكل لتحيا فى كنف نجار واحتملت حياة الفقر. ولما ولدت ابنها الوحيد، لم يكن لها موضع فى البيت، فأضجعته فى

مزود (لو١: ٧) . واحتملت ذلك أيضاً .. واحتملت المسئولية وهى صغيرة السن. واحتملت المجد العظيم الذى أحاط بها، دون أن تتعبها أفكار العظمة .

لم يكن ممكناً أن تصرح بأنها ولدت وهى عذراء، فصمتت واحتملت ذلك.

احتملت السفر الشاق إلى مصر ذهاباً وإياباً. واحتملت طردهم لها هناك من مدينة إلى أخرى، بسبب سقوط الأصنام أمام المسيح (اش١٩: ١) . احتملت الغربة والفقر . احتملت أن "يجوز فى نفسها سيف" (لو٢: ٣٥) بسبب ما لاقاه ابنها من اضطهادات واهانات، وأخيراً آلام وعار الصلب ...

لم تكتف العذراء - سلبياً بالاحتمال - بل عاشت فى الفرح بالرب .

كما قالت فى تسبحتها "تبتهج روحى بالله مخلصى" (لو١: ٤٧).

الإيمان وعدم التذمر

فى كل ما احتملته، لم تتذمر إطلاقاً. وفى تهديد ابنها بالقتل من هيرودس، وفى الهروب إلى مصر، وفى ما لاقاه من اضطهاد اليهود ، لم تقل وأين البشارة بأنه يجلس على كرسى داود أبيه،

يملك.. ولا يكون لملكه نهاية" (لو١: ٣٢، ٣٣)! بل صبرت . وكما قالت عنها أليصابات "آمنت بأن يتم ما قيل لها من قِبل الرب" (لو١: ٤٥) .

آمنت بأنها ستلد وهى عذراء . وتحقق لها ذلك .

وآمنت بأن "القدوس المولود منها هو ابن الله" (لو١: ٣٥) على الرغم من ميلاده فى مزود. وتحقق لها ما آمنت به، عن طريق ما رأته من رؤى ومن ملائكة، ومن معجزات تمت على يديه. آمنت بكل هذا على الرغم من كل ما تعرض له من اضطهادات ...

آمنت به وهو مصلوب. فرأته بعد أن قام من الأموات (مت٢٨)

الصمت والصلاة والتأمل

كان من تدبير الله، أن تتيتم العذراء، وأن تعيش فى الهيكل .

وفى الهيكل تعلمت حياة الوحدة والصمت، وأن تنشغل بالصلاة والتأمل. وإذ فقدت محبة وحنان والديها، انشغلت بمحبة الله وحده

وهكذا عكفت على الصلاة والتسبحة وقراءة الكتاب المقدس، وحفظ الكثير من آياته، وحفظ المزامير. ولعل تسبحتها فى بيت أليصابات دليل واضح على ذلك. فغالبية كلماتها مأخوذة من المزامير وآيات الكتاب .

وصار الصمت ممن مميزات روحياتها . فعلى الرغم من أنها في أحداث الميلاد : رأت أشياء عجيبة ربما تفوق احتمال سنها كفتاة صغيرة، وما أحاط بها من معجزات، ومن اقوال الملائكة والرعاة والمجوس .. فلم تتحدث مفتخرة بأمجاد الميلاد، بل "كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها" (لو٢: ١٩) .

إن العذراء الصامتة المتأملة ، درس لنا :

فليتنا مثلها : نتأمل كثيراً ، ونتحدث قليلاً .

على أنى أرى، أنه لما حان الوقت أن تتكلم، صارت مصدراً للتقليد الكنسى، فى بعض الأخبار التى عرفها منها الرسل وكاتبو الأناجيل: عن المعجزات والأخبار أثناء الهروب فى مصر، وعن حديث المسيح وسط المعلمين فى الهيكل وهو صغير (لو٣: ٤٦، ٤٧) .

فضائل أخرى

لقد اختار الرب هذه الفتاة الفقيرة اليتيمة لتكون أعظم إمرأة فى الوجود. وكانت تملك فى فضائلها ما هو أعظم من الغنى .

من فضائلها أيضاً قداستها الشخصية، وعفتها وبتوليتها، ومعرفتها الروحية، وخدمتها للآخرين . وأمومتها الروحية للآباء الرسل .

ويعوزنا الوقت أن نتحدث عن كل فضائلها ...

تطويبها

ما اكثر التطوييات التى أعطيت للعذراء .

وردت فى ألحان الكنيسة، وفى التسبحة، فى التذاكيات والمدائح وفى الذكصولوجيات، فى كل يوم من أيام أعيادها، وفى الأبصلمودية الكيهكية، وفى تراتيل الكنيسة ، وفى الأبصلمودية .

وتذكرها الكنيسة فى مجمع القديسين، قبل رؤساء الملائكة، وهكذا فى كل تشفعاتها. والكنيسة فى تطويب السيدة العذراء، إنما تحقق النبوة التى قالتها فى تسبحتها :

"هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى" (لو١: ٤٨) .

والكنيسة تقدم لها البخور، وتقدم لها السلام. وما أكثر التسابيح التى تبدأ بعبارة "السلام لمريم" (شيرى نى ماريا) أو التسابيح التى تبدأ بعبارة "افرحى يا مريم" . أو التسبحة التى يحرك فيها داود النبى الأوتار العشرة فى قيثارته، وفى كل وتر يذكر تطويباً لها .

نذكرها فى الأجبية وفى القداس وفى كل كتب الكنيسة :

فى السنكسار ، وفى الدفنار، وفى القطمارس، وفى الأبصلمودية، وفى كتب المردات والألحان .. فى صلوات الأجبية، نذكرها فى القطعة الثالثة فى كل ساعة من ساعات النهار متشفعين

بها. ونذكرها فى قانون الإيمان، إذ نقول فى مقدمته "نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله .."

نذكرها فى صلاة البركة ، أولها وآخرها .

فنبدأ البركة "بالصلوات والتضرعات والابتهالات التى ترفعها عنا كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم" . وبعد أن نذكر أسماء الملائكة والرسل والأنبياء والشهداء وجميع القديسين ، نختم بها البركة فنقول "وبركة السيدة العذراء أولاً وأخراً" ..

أيقونة العذراء

هناك فرق بين صور للتأمل، وايقونة للطقس .

★ففى الأيقونات لابد تظهر مع المسيح باعتبارها والدة الإله .

★وتكون عن يمينه، إذ قيل فى المزمور "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك" (مز٤٥: ٩) .

★ولأنها ملكة يكون على رأسها تاج ، وكذلك المسيح .

★وكقديسة يكون حول رأسها هالة من نور، إذ قال الرب "أنتم نور العالم" (مت٥: ١٤) .

★ولأنها السماء الثانية يوجد حولها نجوم وملائكة وسحاب .

اشفعى فينا أيتها العذراء القديسة ، ليشملنا الرب برحمته.

مكتبة مركز معلم الاجيال
4140128 0.50L.E
السيدة العذراء